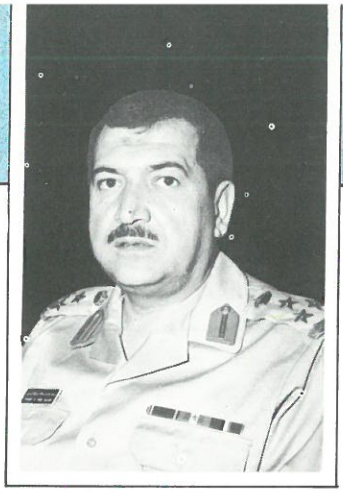

العميد الركن يوسف عبدالله جمل الليل

علم النفس العسكري

الحلقة الثالثة والأخيرة

تهتم معظم الجيوش الحديثة بالإضافة إلى الفحص الطبي الدقيق بتطبيق الاختبارات النفسية لقياس القدرات والاستعدادات وسمات الشخصية . فإذا كانت قدرات الأفراد البدنية وخصائصهم الجسمية مهمة للقوات المسلحة فإن معرفة قدراتهم واستعداداتهم العقلية وسماتهم الشخصية لأكثر أهمية بلا شك إذ بدون معرفة هذه القدرات والاستعدادات وسمات الشخصية لا يمكن للقوات المسلحة من اختيار الأنسب لتوفير الوقت والجهد ، فليست المقدرة البدنية كل ما تطلب من الأفراد بل هناك تخصصات مختلفة من قيادة طائرات ودبابات ومدمرات واستعمال مختلف الأسلحة والآلات الحربية التي تحتاج إلى مهارة في استعمالها ، وهذا يحتاج إلى استعدادات وقدرات خاصة يجب التأكد من توفرها في الرجال الذين يوكل اليهم استعمال هذه الآلات .

ولا شك أن القوات المسلحة لا تستطيع أن تسحن اختيار الرجال ما لم تتوفر لديهم الوسائل الضرورية التي تمكنها من تقدير قدراتهم واستعداداتهم تقديراً علمياً صحيحاً . ولذلك فلا غنى للقوات المسلحة عن خبرة علماء النفس المدربين على تقدير الرجال وقياس قدراتهم واستعداداتهم قياساً علمياً

التدريبات الحية من أهم الاختبارات النفسية والبدنية للنجاح في العمل .

صحيحاً بواسطة الاختبارات النفسية المختلفة الذي يمكن بواسطتها انتقاء أشخاص من بين مجموعة من الأشخاص المتقدمين بحيث يكون نجاحهم في العمل الذي يختارون له أكثر احتمالاً . ويجب في عملية الاختيار من تحديد دقيق للقدرات والاستعدادات الضرورية للقيام بالعمل المطلوب ، لاختيار الرجال له . كما يجب معرفة نوع العمل الذي يؤديه الضباط والأفراد ، والظروف المختلفة التي يقع العمل تحتها ، وتحليل العمل تحليلاً دقيقاً يقوم به أخصائيون مدربون ، ويستعين علماء النفس بالنتائج التي يسفر عنها تحليل العمل من اكتشاف القدرات والاستعدادات اللازمة للنجاح في العمل ، وفي وضع الاختبار لقياسها ، وفي تنظيم عمليتي الاختبار والتصنيف

بعد الانتهاء من مرحلة الوصف والتحليل تبدأ مرحلة تحديد القدرات والاستعدادات الضرورية يحتاج إلى خبره ومهارة في تفسير أنواع النشاطات المختلفة ومعرفة ما تستلزمه من قدرات واستعدادات .. وهذا التحليل يشتمل على (الشروط البدنية) القوة ، الاحتمال ، السرعة ، المرونة ، (الشروط الحسية) حدة الحواس المختلفة . (الشروط الأدراكية) سرعة الأدراك ودقة التميز . (الشروط العقلية) فهم الكلام ، القدرة الحسابية ، القدرة الميكانيكية ، القدر على التذكر . (الشروط التعليمية) دقة التعبير اللفظي ، والمعرفة الرياضية والميكانيكية ، والمعارف الخاصة المختلفة (الشروط الاجتماعية) حسن المظهر ، القدرة على الفهم ، حسن المعاملة والقدرة على التفاهم مع الآخرين (الشروط الخاصة بالميول) إلى الناس ، إلى الأشياء المادية ، إلى المغامرة . (الشروط الانفعالية) القدرة على العمل تحت دوافع السرعة وعوامل الخطر ، ألا تزان وتوافق الشخصية . ومن ثم تبدأ الاختبارات التي يمكن بها قياس هذه القدرات والاستعدادات . وعادة يكون الاختبار مكوناً من بعض المسائل والمشاكل التي تُعرض على الأفراد لحلها والإجابة عليها ،

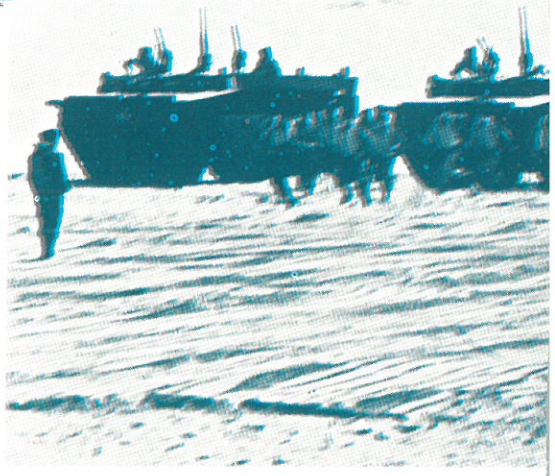

وقد يكون الاختبار شفوياً أو تحريرياً أو عملياً وفي صورة رسوم وصور مختلفة .

وللاختبارات النفسية أنواع عدة ، فمنها اختبارات الذكاء والقدرة العقلية العامة ، واختبارات الشخصية ، مثل الميول والاتجاهات والاتزان الأنفعالي وتوافق الشخصية .

فالاختبارات النفسية نشأت في أول الأمر لغرض تربوي وتعليمي . فأول اختبار للذكاء وهو الاختبار الذي وصفه (بينيه) في أوائل القرن العشرين للمدارس ، ثم ما لبثت الاختبارات النفسية أن انتقلت إلى الميدان الصناعي ، وأخذ علماء النفس يطبقونها في التوجيه المهني ، ثم طبقت فيما بعد في القوات المسلحة لاختيار أفرادها .. وان أهم الاختبارات التي استخدمت في الجيش الأمريكي في الحرب العالمية الأولى اختبار (ألفا) واختبار (بيتا) وقد ظهرت لهذين ، الاختبارين عدة تعديلات فيما بعد وشاع استعمالها في المدارس والمصانع ، فأختبار (ألفا) يتكون من معرفة قدرة الجنود على اتباع التعليمات اللفظية ، مسائل حسابية ، ومجموعة كلمات يُطلب منهم أن يبينوا ما إذا كان كل زوج منها مترادفاً أو مضاداً ، وجمل غير مرتبة مطلوب الإجابة بصحتها أم بخطئها ، ومجموعة من الأعداد غير كاملة مطلوب تكملتها ، وأربعون زوجاً من ألفاظ متماثلة ، وأربعون سؤالاً للمعلومات العامة . أما اختبار (بيتا) يوضع للأمّيين الذين لا يستطيعون قراءة اللغة الانجليزية وتكون متاهات يطلب من الجنود تخطيط طريق السير فيها ، مجموعة المكعبات يطلب عدها ، مجموعة صور يطلب رسم الأجزاء الناقصة منها ..

ان اختبارات القدرات والاستعدادات هذه هي لقياس قدرات الأفراد في الظروف العادية وقت السلم . إلّا أنّها لا تعطينا فكرة عن كيفية سلوك الأفراد وتصرفاتهم وقت الحرب أي في أوقات الحرج والأزمات التي كثيراً ما يتعرض لها الأفراد ، ويختلف الناس اختلافاً كبيراً في مقدرتهم على حسن التصرف تحت عوامل السرعة والخطر . فمنهم من يستطيع في حالات الخطر أن يحتفظ برباطة جأشه ، وسلامة تفكيره ، وصحة أحكامه . ومنهم من يفقد صوابه ، وتتحطم أعصابه ويختلط عليه تفكيره ، فلا يستطيع أن يتصرف تصرفاً سليماً . وأن وجود مثل هؤلاء الأفراد في أي تشكيل مضر بمعنوياته ، ومخل بنظامه ، ومعطل لكفايته . إذ من الممكن أن تسري العدوى من فئة قليلة من هؤلاء الأفراد الواهنة

إلى بقية المجموعة فتفسد خطتها وتربك نظامها .

ويجب على القوات المسلحة أن لا تُغفل هذا الأمر لماله من الأثر الكبير في مقدرة هذه القوات على الاحتفاظ بنظامها وكفايتها في أحرج أوقات الخطر. ولذا تهتم الجيوش الحديثة باختبار شخصيات جنودها لتميز الأفراد الذين يكونون أكثر استعداداً للأنهيار ، فتعمل على علاجهم ، أو على الأقل اقصائهم من المهمات الخطره التي تستلزم رباطة الجأش ، واتزان النفس ، والقدرة على الاحتفاظ بسلامة الحكم والتقدير في أوقات الحرج والخطر. وأن تقدير شخصيات الأفراد والتنبؤ بما يمكن أن يصدر عنهم من تصرفات في أوقات الأزمات والأخطار أمر في غاية الصعوبة والدقة ويحتاج إلى خبرة كثيرين من علماء النفس والأطباء النفسانيين الذين يستطيعون بوسائلهم العلمية الخاصة سبر غور الشخصيات والكشف عن الصفات والنزعات الخفية في أعماقها ، تلك الصفات والنزعات التي تظل في الأحوال العادية مخفية عن الناس ولكنها تطفوا على السطح في بعض الظروف الخاصة كظروف الخطر التي يجد الجنود أنفسهم حينما يكونون في مقدمة الصفوف المقاتلة أو عندما يتعرضون لبعض الهجمات الشديدة أو حينما تصاب سفنهم أو تضرب قواعدهم بقنابل العدو أو يحاصرون ويمنع عنهم الطعام والماء مدة طويلة ، أو غير ذلك من الحالات التي كثيراً ما يتعرض لها الجنود المحاربون . وقد يكون هناك بعض الرجال الذين يبدون أقوياء أشداء وإذا بهم تنهار عزائمهم وتطير نفوسهم وتختلط عقولهم من شدة الخوف والجزع إذا ما تعرضت حياتهم للأخطار . وتدل شواهد كثيرة على أن الناس الذين يبدون متكافئين في المظهر وفي القدرات العقلية قد يختلفون فيما بينهم اختلافاً كبيراً من حيث تصرفاتهم في الأوقات الحرجة ، فمنهم من يستطيع الثبات أمام الأخطار ، ومنهم من يكون أكثر استعداداً للأنهيار ..

ومعرفة مقدار استعداد الأفراد للأنهيار أمر لا يمكن الوصول إليه من اختبارات القدرات العامة والخاصة ولكن يتم ذلك بالوسائل التي يستخدمها علماء النفس في تقدير شخصيات الأفراد العسكريين ما يعرف عادة (بالمقابلة والاستبيان) . وإذا استطاع علماء النفس أن يصنعوا من الوسائل ما يعين على معرفة هذين الصنفين من الناس لأدوا بذلك خدمة كبيرة للقوات المسلحة .

المراجـع :

١ — علم النفس الحربي
٢ — علم النفس والنمو
٣ — قاموس جون ديوي للتربية
٤ — علم النفس التطبيقي

١ — د/عثمان نجاتي
٢ — عزيز حنا وحسن حافظ
٣ — ترجمة د/محمد العربان
٤ — رينيه بينوا